ليسانس: نقد ومناهج (السنة الثالثة)

السداسي: السادس

الأستاذ: عبد العالي زغيلـــــــــــط

مقياس: النقد البنيوي التكويني

المحاضـــــــــــرة الأولى: رؤية العالم (vision du monde)

جاءت هذه الفكرة التي يعرفها لوسيان غولدمان في كتابه الإله الخفي الصادر عام 1959 كمحاولة لبحث الناقد عن أداة موضوعية ،وقابلة للمراجعة تتيح له الفصل بين الأساسي والعرضي في أي عمل، فكانت هذه الأداة برأيه هي فكرة "رؤية العالم"[1].

يعترف لوسيان غولدمان أن أول من صاغ هذا المصطلح هو الفيلسوف الألماني ديلتاي Delthey، ولكنه يشير في الوقت ذاته إلى إساءة استخدام دلتاي لهذا المفهوم ويرى أن أفضل من استخدمه هو الفيلسوف والناقد المجري جورج لوكاتش (1889-1971) ثم يطرح غولدمان السؤال عن معنى العالم ليجيب بالقول :" إنه ليس معطى تجريبيا مباشرا ولكنه أداة عمل تصورية ضرورية لفهم صور التعبير المباشر لفكر الأفراد، وتظهر أهميتها وواقعيتها حتى على المستوى التجريبي عندما تتجاوز فكر كاتب واحد وأعماله"، ورغبة منه في تقريب المفهوم الذي بدا للوهلة الأولى غامضا حاول لوسيان غولدمان أن يعقد صلة بينه وبين الوعي الجمعي المعروف عند علماء الاجتماع، حيث يقول " لا يجب اعتبار رؤية العالم حقيقة ميتافيزيقية ، أو لها طـابع تأمـــلي بحت، فهي تشكل الجانب الرئيسي الذي يحاول **علماء الاجتماع** وصفها منذ عشرات السنين تحت مسمى **الوعي الجمعي"** ليخلص إلى القول أن " رؤية العالم هذه هي بالضبط كل

[1] ينظر لوسيان غولدمان، الإله المحتجب، ترجمة عزيزة أحمد سعيد، المركز القومي للترجمة،القاهرة، مصر، ط01 /2015 ، ص36

الطموحات والمشاعر والأفكار التي تجمع أعضاء مجموعة (وهي غالبا طبقة اجتماعية) وتجعلها في مواجهة المجموعات الأخرى"[2]

إن تحقيق هذه الرؤية (رؤية العالم) عند الكاتب أو الناقد لا يتأتى إلا بتجاوز فردية الدراسات النفسية وشكلانية الدراسات البنيوية ، ومحاولة الإفادة منهما ، وعن هذه المحاولة التوفيقية يقول الناقد "محمد نديم خشفة" في كتابه "تأصيل النص" " نستطيع أن نعرف مكانة غولدمان بمقارنته مع بعض المدارس المعاصرة له، وهذه المدارس النقدية تبحث كلها في النص الأدبي عن «التماسك التام»" وهاتان المدرستان هما : البنيوية (بزعامة رولان بارت يومئذ)، والمدرسة النفسية (بزعامة شارل مورون) ، حيث يتفق غولدمان مع بارت في "دراسة البنية الداخلية للنص أولا ، ويتفق مع مورون بضرورة دراسة الحياة الانفعالية للمؤلف ،ولكنه يتجاوزهما بالتأكيد على إدماج الأثر الأدبي ومؤلفه في بنية أوسع هي البنية الاجتماعية والذهنية والثقافية اللتين يمثلهما أو ينتمي إليهما"[3]
.

إن "رؤية العالم" بهذا المعنى هي الضامن لتماسك النص الأدبي إنتاجا، والضامن لفهمه واستيعابه والتجاوب معه تلقيا ونقدا، أي أنها أداة فعالة في يد القارئ/الناقد للامساك بالدلالة وتأويل النص من غير شطط ولا اعتساف، فهي كما يقول جمال شحيذ : "تخولنا تأويل جميع القيم ،والتيارات الفنية، إذ بواسطتها نستطيع إيجاد الدور الذي يلعبه كل تيار فني ، ونرى أهميتها أكثر عندما ندرك أن الثقافة والوعي والعمل الفني والفلسفة تشكل جزءا لا يتجزأ من العلاقات الاجتماعية وأن هذا التفاعل بينها وبين المجتمع لا نستطيع إدراكه إلا من خلال "رؤية العالم" الخاصة بالكاتب"[4]

بهذا المعنى فإن عظمة العمل الفني/الأدبي وقيمته تتناسب مع مدى تعبيره عن هذه الرؤية من عدمها، حيث يقول غولدمان " كل عمل أدبي أو فني عظيم يكون تعبيرا عن رؤية للعالم، وأن هذه الرؤية ظاهرة للوعي الجمعي الذي يصل إلى قمة وضوحه التصوري أو المحسوس في وعي المفكر أو الشاعر وبدورهما

---

[2] لوسيان غولدمان، الاله المحتجب، ص:39

[3] محمد نديم خشفة، تأصيل النص، المنهج البنيوي لدى لوسيان غولدمان، مركز الانماء الحضاري، حلب، سوريا، ط01/1997، ص: 15

[4] جمال شحيذ،في البنيوية التكوينية، دراسة في منهج لوسيان غولدمان، دار التكوين، دمشق، سوريا، ط01/2013، ص: 51

يقومان بالتعبير عنه في أعمال يدرسها المؤرخ [الناقد]مستعينا بأداة تصورية هي رؤية العالم فإذا سعى لتطبيقها على النص أتاحت له أن يستنتج :

ـ ما هو أساسي في الأعمال التي يدرسها.

ـ دلالة العناصر الجزئية في إجمالي العمل.

أ. عبد العالي زغلط

المحاضرة الثانية: البنيوية التكوينية في النقد العربي

لم يكن للوسيان غولدمان في النقد الغربي عموما وفي النقد الفرنسي خصوصا ذلك التأثير الواسع الذي كان لمعاصره رولان بارت، نظرا لأسباب فكرية إيديولوجية من جهة ولأسباب نقدية من جهة أخرى؛ إذ تزامن ظهور البنيوية

التكوينية التي نادى بها غولدمان مع بداية تراجع البنيوية في عقر دارها وصعود ما بعد البنيوية في كتابات بارت ودريدا وغيرهما، وهو ما صرف النظر عن أعمال غولدمان نسبيا، أما السبب الإيديولوجي فإن البنيوية التكوينية كانت شديدة اللصوق بالماركسية كإيديولوجية تعبر عما أسماه غولدمان "رؤية العالم" وهو ما خفض نصيب النظرية من الاهتمام النقدي، وإن كان لها من نصيب إهتمام فإنه انصب في علم الاجتماع الأدبي كما هو الشأن في كتابات بيار زيما...

وخلافا لما هو عليه الحال في فرنسا وأوروبا فإن أعمال غولدمان لاقت اهتماما عند النقاد العرب، ولا مندوحة في ذلك فقد تَـمَثّل النقد العربي أو حاول أن يتمثل التيارات النقدية الوافدة بكل محمولاتها الفكرية وخلفياتها الفلسفية، فعرف النقد التاريخي، والنقد الاجتماعي والنقد النفسي، ولما تحول النقد في الغرب الأوروبي إلى اللغة كمنطلق لقراءة النصوص وتفسيرها انتعش النقد العربي بالعودة إلى البلاغة القديمة والنحو في محاولة لربط الطارف (الجديد) بالتليد (القديم)، وجسر القديم بالجديد في توليفات أبدع فيها النقاد العرب حينا وتعثروا حينا آخر.

ومن بين المناهج التي لاقت رواجا في النقد العربي، منهج النقد البنيوي التكويني كما تبدّى في كتابات لوكاتش وغولدمان، وتفسير هذا الاهتمام بالنقد البنيوي التكويني كما يذهب إلى ذلك الناقد "سعد البازعي" هو كونه منهجا"يجمع الشتيتين؛ التوجه الشكلاني، والتوجه الماركسي"[5] وهو ما تكشف عنه كتابات غولدمان نفسه، إذ يقدم لوسيان غولدمان في كتابه "العلوم الإنسانية والفلسفة" تصوره للبنيوية التكوينية وعلاقتها بالنقد الأدبي بكونه مفهوما مستقى من مجموعة أقطاب في الفكر الغربي فيقول:"البنيوية التكوينية هي مفهوم علمي عن الحياة الإنسانية والتي يرتبط ممثلوها الرئيسيون على المستوى النفسي () بفرويد، وعلى المستوى الابستيمولوجي بهيغل وماركس وبياجيه، وعلى المستوى التاريخي_الاجتماعي بهيغل وماركس وغرامشي ولوكاتش وبالماركسية التي استلهمها لوكاتش"[6]

---

[5] سعد البازعي، استقبال الآخر، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط01/2004، ص: 204

[6] Lucien Goldmann, science humaines et philosophie, Gonthier, Paris, 1978, P : 151

واضح من هذا التعريف أن البنيوية التكوينية هي خلطة فلسفية سعى من خلالها غولدمان إلى مواءمة هذه الفلسفات بعضها ببعض، على ما فيها من تباين ، ومهما يكن من أمر فإن النقد العربي تبنى البنيوية التكوينة منهجا لتفسير النصوص الأدبية وقراءتها، رغبة من النقاد العرب في "الاخلاص للنواحي الشكلية في دراسة الأدب مع عدم التخلي عن القيم والالتزامات الواقعية ، اليسارية غالبا، التي لعبت دورا رئيسا في تشكيل التجربة السياسية والثقافية والاجتماعية في الوطن العربي"[7] ويمكن إلتماس هذا التأثير عند أقطاب النقد العربي من أمثال : محمود أمين العالم، محمد برادة، ونجيب العوفي، ويمنى العيد، عبد الرزاق عيد، ومحمد بنيس، وحميد لحميداني، وغيرهم..

تبنّى المنهج البنيوي التكويني في مصر الناقد المعروف محمود أمين العالم حيث يقول في مقدمة كتابه ثلاثية الرفض والهزيمة " وعندما عرضت لنظرية «غولدمان» الخاصة « برؤية العالم» ، لم أتوقف عندها متبنيا أو مؤيدا بل اعتبرتها أقرب إلى منهج الدراسة الاجتماعية منها إلى النقد الأدبي أو الدراسة الفنية، بل أشرت إلى أن «غولدمان» (...) يكاد يكون عالم اجتماع للأدب وليس بالناقد الأدبي"[8] غير أن هجوم محمود أمين العالم على البنيوية الشكلية وانتقادها لها وركونه إلى الدلالة الاجتماعية للعمل الأدبي ولحمولته الإيديولوجية يجعله متبنيا لأطروحة لوسيان غولدمان ؛ فـ"النقد الأدبي ، مهما استند إلى اجتهادات موضعية وموضوعية في التحليل الوصفي للعمل الأدبي، ومهما تسلح بنتائج المحاولات العلمية لدراسة الأدب ، فهو في النهاية موقف إيديولوجي مهما كان اقتراب هذه الايدولوجيا من الموضوعية أو ابتعادها عنها"[9] وهذا الموقف يصدر بكل تأكيد عن رؤية للعالم مثلمالا يقول غولدمان نفسه، مما يجعل فهم الناقد أمين العالم يتقاطع مع الفلسفة المتبناة من قبل غولدمان.

المحاضـــرة الثالثة: نماذج عن البنيوية التكوينة في النقد العربي

---

[7] سعد البازعي، المرجع نفسه، ص:204

[8] محمود أمين العالم ، ثلاثية الرفض والهزيمة، دار المستقبل العربي، القاهرة مصر، ط01/ 1985، ص:11-12

[9] محمود أمين العالم ، المصدر نفسه، ص:19

النقد التطبيقي لنظرية غولدمان ، أو للمنهج البنيوي التكويني نلمسه في أعمال أمين العالم، ومحمد برادة، حميد لحميدياني

محمد برادة:

يعد الناقد والروائي المغربي محمد برادة من أهم النقاد الذين اشتغلوا على النصوص الأدبية بمناهج متعددة ضمن مسيرته النقدية، حيث يقول في كتابه "أسئلة الرواية أسئلة النقد" : حاولت أن أتابع واستوعب أهم المناهج التي ملأت الساحة منذ الخمسينات، وكانت متابعتي أيضا خاضعة للتدرج، والتجزئ، ونقص الوسائل"[10] هذه المتابعة النقدية للمناهج المستجدة في الساحة الغربية جعلت الناقد برادة يتبنى في مرحلة من مسيرته النقدية المنهج البنيوي التكويني في كتابه عن الناقد محمد مندور المعنون بـــ"محمد منذور وتنظير النقد العربي"، حيث يقول : " لقد آثرنا فيما يخصنا استيحاء المناهج الصادرة عن البنيوية التكوينية كما بلورها كل من جورج لوكاتش ولوسيان غولدمان، وبيير بورديو"[11] وبحسب البازعي فإن الناقد برادة "يصدر عن وعي بالخلفية الفلسفية والمعرفية للتكوين المنهجي الذي يتعامل معه (...) غير أن هذا الوعي على أهميته ليس بحد ذاته ضمانة كافية لتحقيق التميز المنهجي"[12] الذي لم يتجاوز عند برادة مرحلة التلمس.

حميد لحميداني:

يعد الناقد المغربي حميد لحميداني من بين النقاد ذوي الإنتاج الغزير نقديا، إبداعا وترجمة ، كما تعد كتبه في النقد البنيوي مراجع مهمة للدارسين العرب في مجال السرد، وإذا كانت كتبته ذات المنحى الشكلاني في دراسة الرواية كا هو شأن عمله المميز "بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي" فإن أعماله الأولى تنم عن انخراط واضح للناقد في المنهج البنيوي التكويني كما بلوره غولدمان، وذلك في كتابيْه:"الرواية المغربية ورؤية الواقع الاجتماعي.. دراسة بنيوية تكوينية" و "من أجل تحليل سوسيوبنائي للرواية" جعل البنيوية التكوينية دعامة منهجية في

---

[10] محمد برادة، أسئلة الرواية أسئلة النقد،مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، ط01/1996، ص:06

[11] سعد البازعي، المرجع السابق، ص: 210

[12] البازعي، المرجع نفسه، ص:211/212

مقاربته للنصوص الروائية، حيث تناول في كتاب " الرواية المغربية ورؤية الواقع الاجتماعي" بمسح شامل للرواية المغربية المكتوبة باللغة العربية إلى غاية 1982، حيث عرض منطلقات منهج غولدمان في نقاط أربع :

الأولى: أن النتاج الأدبي ليس انعكاسا بسيطا للوعي الجماعي الواقعي (...) وعليه فإن " هذه الملاحظة الدقيقة توجهنا إلى الاهتمام ـ أثناء دراسة نتاج أدبي ما وليكن رواية ـ لا إلى ربط العلاقة بين هذا النتاج والوعي الجماعي الكائن ولكن إلى ربطه بالوعي الجماعي الممكن"[13]

الثانية: الأعمال الابداعية الفردية هي صياغات مجازية رمزية تختلف من حيث الشكل عن الأشكال التعبيرية الأخرى، "فالعلاقة الموجودة بين الوعي الجماعي والأعمال الابداعية الفردية الكبيرة على الخصوص ...لا تكمن في شكل تطابق تام في المحتوى"[14] وهو ما يعطي الاستقلالية النسبية للنص الأدبي.

الثالثة: ليس بالضرورة الحتمية أن يكون منتج النص المعبر عن الجماعة منتميا انتماء عضويا لها، ولكن رؤية العالم التي يطرحها في نصه الابداعي هي رؤية من انتاج جماعي أو من انتاج الجماعة

الرابعة :"الوعي الجماعي ليس بالحقيقة الأولية المستقلة ، إنه وعي يتكون ضمنيا من خلال السلوك العام للافراد المساهمين في الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية"[15]

التطبيقات (عروض للانجاز)

عروض حول البنيوية التكوينية:

1. نصوص من كتاب جمال شحي، قراءة وتلخيص وعرض
2. قراءة فصل من كتاب علم اجتماع الرواية للوسيان غولدمان
3. النقد الروائي والايديولوجيا قراءة للفصل الاخير من الكتاب

---

[13] حميد لحميداني، الرواية المغربية ورؤية الواقع، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب ، ط01/1985 ص:12

[14] المرجع نفسه ، ص: 12

[15] المرجع نفسه، ص:13

4. تلخيص الفصل المتعلق بالنقد الاجتماعي لصلاح فضل في كتابه مناهج النقد المعاصر
5. تحليل نصوص من كتاب معنى الواقعية الاشتراكية لجورج لوكاتش
6. قراءة فصول من كتاب محمد بنيس ظاهرة الشعر المعاصر
7. سوسيولوجيا الرواية لعبد الرزاق عيد

عبد العالي زغلط